منهج القرآن الكريم
في الرد على منكري البعث

أ. م. د. مهدي قيس عبد الكريم
جامعة كويا/ أربيل

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهّ وحده لا شريك له، وأنّ محمّدا عبده صلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

وبعد :

فهناك طوائف من منكري الخالق والبعث والإعادة قديماً وحديثاً، وفلسفة هؤلاء أن الحياة هي ما بين المهد إلى اللحد، ولا شيء بعد ذلك، وما سواه ضرب من الوهم والخيال.

والقرآن الكريم واجه دعوات الملحدين بأسلوب فريد جمع بين البلاغة والإقناع، وجمع بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية، وقد برز هذا جلياً في ردود القرآن الكريم على المنكرين، ولاسيما في مسألة البعث وقدرة الله على إحياء الناس بقياسها على قدرته ـ جل وعلا ـ في إنشاء الخلق وذلك الكون العظيم بما فيه، وفي مسألة خلق الإنسان وبيان أطواره من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات .

وهذه الدعوات على الرغم من الحجج الدامغة التي ساقها القرآن الكريم في الرد عليهم، إلا أن هؤلاء يظهرون بين الفينة والأخرى بحلل جديدة وبدعاوى ألبست ثياب المعاصرة والعلم الحديث .

ومن أجل التعرف على موقف القرآن الكريم من منكري البعث والمبادئ العامة التي اعتمدها القرآن الكريم في الرد على شبهاتهم، فيهذا البحث الموسوم : (منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث) .

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: شبهات المنكرين .

المبحث الثاني : الرد القرآني .

المبحث الثالث : خصائص الخطاب القرآني .

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج .

المبحث الأول
شبهات المنكرين

إن تركيز القرآن الكريم على الرد على منكري البعث والحشر والنشور والإحياء، إنما لخطورة الشبهات التي ساقوها، فهي على الرغم من افتقارها إلى أسس علمية تقوم عليها، إلا أنها قامت على النفي والإنكار المجردين ومخاطبة العقل الساذج بتصوير استحالة البعث قياساً على المشاهدات اليومية المألوفة .

والحوار مع منكري البعث والنشور والحساب، من أعظم المعضلات التي واجهت الرسل ـ عليهم السلام، وقد اشتد المكذبون فيها، واشتطوا في الإنكار والتكذيب .

وهذه علة كثير من الانحرافات اليوم، كما هو الحال في كل زمان ومكان، إذ يعولون على ما تمليه عليهم عقولهم على الوحي الرباني، والعقل على النقل، فالمشركون لم تحتمل عقولهم الضعيفة إمكانية البعث.

ومنكرو البعث ثلاثة أصناف، هم :

الصنف الأول :

الدهرية : وهم القائلون إنكار الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني . والذين أخبر عنهم القرآن المجيد : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(١) .

إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصراً للحياة والموت على تركبها

---

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٤ .

وتحللها . فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر(١) .

الصنف الثاني:

منكرو البعث والإعادة، إذ أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن(٢).

في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾(٣).

الصنف الثالث :

المقرون بالمعاد ؛ ولكن على غير الصفة التي جاء بها القرآن، كالاعتقاد ببعث الأرواح فقط، وقد ذكر القرآن الكريم أن البعث للروح والجسد معاً يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) ﴾(٤).

إن المتتبع لشبهات المنكرين التي ساقها القرآن الكريم يراها لا تخرج عن الأطر الآتية:

١ ـ الإنكار قياساً على الرؤية العيانية، وأنهم لم يروا أحداً ممن مات عاد إلى الحياة الدنيا. ولذلك احتج المشركون بإعادة الموتى من آبائهم، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٦) ﴾(٥).

٢ـ إن الأجساد إذا فنيت، والعظام إذا بليت كيف يتسنى إعادة بعثها إلى الحياة مجدداً ؟ قال تعالى ذاكراً هذه الحجة بقوله : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾(٦)، فالكافرون

---

(١) ينظر : الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ : ٣/ ٧٩ .

(٢) ينظر : الملل والنحل : ٣/ ٧٩ .

(٣) سورة يس : الآية ٧٨ .

(٤) سورة القيامة : الآيتان ٣ ـ ٤ .

(٥) سورة الدخان : الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.

(٦) سورة ق : الآية ٣ .

يقولن : أذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا، وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذالك إلى هذه البنية والتركيب⁽¹⁾؟ فأنكروا البعث ووصفوه بالرجع البعيد، أي : مستبعد في الأوهام والفكر⁽²⁾.

فهم في شك وحيرة من قدرة الله تعالى على خلقهم خلقاً جديداً بعد صيرورتهم تراباً. فالتبس عليهم، واختلط ما ألفوه واعتادوه على الحقيقة التي يقرُّ بها العقل السليم، فهم إذا سئلوا من خلقهم؟ أجابوا : الله، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾⁽³⁾، بل إن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾.

وفي هذا السياق يقول المنكرون : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾⁽⁵⁾.

يقول سيد قطب: «وتبدو هذه المقولة مستنكرة غريبة بعد تلك الآيات والدلائل الناطقة بتدبير الله، وحكمته في الخلق، فقد وهب الإنسان السمع والبصر والفؤاد ليكون مسؤولاً عن نشاطه وعمله، مجزياً على صلاحه وفساده، والحساب والجزاء يكونان على

---

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ : ٤/ ٢٨١.

(2) ينظر : البحر المحيط، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ : ٨/ ١٢١ .

(3) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(4) سورة غافر : الآية ٥٧ .

(5) سورة مريم : الآيتان ٦٦ ـ ٦٧ .

حقيقتهما في الآخرة، فالمشهود في هذه الأرض أن الجزاء قد لا يقع؛ لأنه متروك إلى موعده هناك. والله يحيي ويميت، فليس شيء من أمر البعث بيسير، والحياة تدب في كل لحظة، وتنشأ من حيث لا يعلم إلا الله»(١).

فضلاً عن حججهم الأخرى بتكذيب الرسل عليهم السلام والتي يشترك فيهات منكرو البعث مع منكرو الرسل ودعواتهم .

واتصفت شبهات المنكرين بجملة من الخصائص، وهي :

١ ـ العجلة في إصدار الأحكام من دون تثبت أو تمحيص، وهذا ما عابه الله تعالى عليهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾(٢)، فهم سارعوا بتكذيب القرآن الكريم من دون أن يعملوا عقولهم ليروا وضوح أدلته وقوة براهينه على ما يدعوهم إليه.

٢ ـ مخالفة الحقائق البدهية المعروفة وعدم إعمال العقل للوصول إلى الحقائق ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٣).

٣ ـ التخبط في الرد، ويظهر هذا في تباينهم في تكذيب القرآن الكريم، فقد وصفوه تارة بالسحر المبين ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٤)، وتارة وصفوه بالأساطير ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٥) وتارة بأنه قول شاعر، وقول كاهن ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م : ٤ / ٢٤٧٧ .

(٢) سورة ق : الآية ٥ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٣ .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ٧ .

(٥) سورة الأنعام : من الآية ٢٥ .

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(١)، وتارة وصفوه بأنه دعوى مجنون كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾(٢)، وهذا تحميق لهم بأنهم طاشت عقولهم، يتقنوا التكذيب، ولم يرسوا على وصف الكلام الذي كذبوا به(٣).

٤ ـ أحكامهم صادرة عن ظن مجرد، أو عن إتباع لهوى النفس بدون دليل، والظن لا يغني من اليقين والحق شيئاً، ولا يدفعه، فاليقين أن الله أخرجهم من العدم وأحياهم، ثم يميتهم، ثم يحيهم مرة أخرى(٤).

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٥).

٥ ـ اللجاج في السؤال عن الساعة:

لما علم المشركون والكافرون أن الساعة أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأنها تأتي بغتة، لج منكرو البعث بالسؤال عنها، ظناً منهم أنهم بهذا يقيمون الحجة على بطلان

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٤١ ـ ٤٢.

(٢) سورة الطور: الآية ٢٩.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ: ٧ / ٢٤٩؛ التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م: ٢٦ / ٢٨٥.

(٤) ينظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن. دار أشبيليا للنشر، السعودية، ط١، ١٩٩٩م: ١ / ٤٦٩.

(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٤ ـ ٢٦.

البعث، إذ لا علاقة منطقية بين البعث وبين قيام الساعة يترتب عليها صحة الإيمان بالبعث، فإن كان قيام الساعة معلوماً أم مجهولاً فالبعث متحقق قطعاً ؛ ولكنهم أنكروا الساعة تمهيداً لإنكار البعث .

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ﴾(١).

فيحق للإنسان أن يعجب من قوم يكذبون بشيء، ومع هذا فهم يكثرون السؤال عنه، فالمشركون يكذبون بيوم الساعة، ولكن الناظر في القرآن الكريم يجده ينقل عنهم لجاجتهم وكثرة سؤالهم عنها، وسؤالهم هذا إما سؤال المختبر الممتحن للنبي صلى الله عليه وسلم، وإما سؤال المتعجب المستغرب، وإما سؤال المستهين المستهزئ، وأما سؤال يدفعهم إليه شعورهم بأن الله خالقهم لم يخلقهم هكذا عبثاً، وتحثهم الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الإيمان به، وأنه عادل، وأنه لابد من يوم ينصف فيه المظلوم، وينتصف من الظالم. وعلى كل حال نحن بصدد رد القرآن الكريم على سؤالهم عن الساعة بكثرة (٢).

٦ ـ افتعال الخصومة :

أشار القرآن الكريم إلى افتعال منكري البعث للخصومات، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(٣)، لذا قبَّح الله عزَّ وجلَّ منكري البعث تقبيحاً

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٢) ينظر : في ظلا ل القرآن : ٣/ ١٤٠٩ .

(٣) سورة يس : الآية ٧٧ .

عجيباً «دلّ على تمادى كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة، حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شي وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار، وشزر صفحته لمجادلته، ويركب متن الباطل، ويلج ويمحك ،ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رّمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمع وراءها»⁽¹⁾.

وقد يتحول الخصام إلى نار تضرم في قلب المخاصم عند ما لا يقوى على منازعة خصمه، فيتجمل بالأقوال، وهو يتحين الفرص؛ لينتقم من خصمه كيداً وغدراً، كما فعل الأخنس بن شريق الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾⁽²⁾، فقد كان رجلاً حلو المنطق وهو شديد الجدال و العداوة للمسلمين، وقد كانت بينه وبين ثقيف خصومه فبيتهم ليلاً، فأحرق زرعهم بعد أن أهلك مواشيهم ⁽³⁾.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ: ٤/ ٣٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.

(٣) الكشاف: ١/ ٢٧٨.

المبحث الثاني
الرد القرآني

استخدم القرآن الكريم في ردوده على منكرين البعث ردوداً مختلفة ومتنوعة، وبأساليب فنية، تجعل المتأمل فيها مذهولاً أمام عظمة تعبير القرآن، وبلاغته، وطريقته في معالجة المواضيع المختلفة التي يتناولها، فتارة يذكر منكرين البعث بما حل بالمكذبين أمثالهم من الأمم قبلهم بسرد قصصهم، أو إرشاد المكذبين للسير في الأرض ليروا كيف دمر الله على أسلافهم، وتارة يستخدم الترغيب والترهيب بعرض صور المؤمنين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم في جنة الخلد، وعرض صور المكذبين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من عذاب أليم في الدنيا والآخرة بإلقائهم في جهنم خالدين فيها بما كذبوا بلقاء الله سبحانه، وتارة يقررهم على أنفسهم، وتارة يعرض بعقولهم، وأنهم قد عطلوها فهم لا يؤمنون، وتارة يستخدم القسم .

وساق القرآن الكريم الحجج الدامغة والبراهين الواضحة في الرد على المنكرين، ومن خصائص هذا الرد :

١ ـ قدرة الله تعالى :

اقتران الرد بالتذكير بقدرة الله تعالى، ويظهر هذا جلياً في فاتحة سورة (ق) قَالَ تَعَالَىٰ:
أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ (٤) بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ

يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ ﴾(١)، وكذا في الآيات اللاحقة.

وهذا الرد يوافق النصف الثاني الذي أمنوا بالخالق وأنكروا البعث، إذ إن إيمانهم بالخالق يقتضي الإيمان بقدرته، فإن كان لا يعجزه أن يخلق السماء والأرض، ولا يعجزه أن ينزل الماء من السماء، وأنبت النباتات المختلفة، أيعجزه بعث الموتى؟

وقد بين الله تعالى أن تعجبهم ليس في محله، بل العجب الحقيقي هو تعجبهم من قدرة الله تعالى كما بين عز وجل ذلك في قوله : ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢).

وبين تعالى سبب كفرهم واستبعادهم ما ليس ببعيد، وأنهم بادروا بالتكذيب دون تأمل ولا نظر فيما حواه من الحق، بل كذبوا به أول وهلة ولذا (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) في أمر مختلط عليهم ملتبس، لا يعرفون حقه من باطله(٣).

قال الطبري: «ثم استدل عليهم بدليل عقلي، فقال عز وجل سائلاً عن شيء لا يسعهم في الجواب عنه إلا الإقرار، تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾، يقول لهم جل ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخالق الأول الذي خلقناه، ولم يكن شيئاً، فنعيا بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب، وبعد فنائهم؟ يقول: ليس

---

(١) سورة ق : الآيات ١ ـ ٦.

(٢) سورة الرعد : الآية ٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م : ١١ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ؛ البحر المحيط : ٨/ ١٢١ ؛ التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٨٤ .

يعيينا ذلك، بل نحن عليه قادرون»(١).

فهم يعلمون أن الخالق الأول للأشياء أعظم من إعادة خلق الأموات، ولكن تمكن منهم اللبس الشديد، فأغشى إدراكهم عن دلائل الإمكان(٢).

٢ ـ الدعوة إلى التأمل :

حرص القرآن الكريم على دعوة المنكرين إلى التأمل في النفس والبدء والمعاد، مشهد بعث المنكرين وحشرهم .

وقد تكررت هذه الدعوة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٣)، فهذا المقطع بسؤال لهؤلاء الذين أنكروا قدرة الله تعالى على البعث، ويطلب منهم الإقرار ؛ لأنهم لا يستطيعون التفلت من الإجابة، أنهم قد نظروا، وهذه السماء فوقهم، أفلم يعلموا كيف بيناها، فسويناها سقفاً محفوظاً، وفي التعبير (فَوْقَهُمْ) دلالة على سهولة ذلك عليهم، إذ لا يكلفهم سوى رفع رؤوسهم (وَزَيَّنَّاهَا) بالنجوم، (وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) يعني: ((وما لها من صدوع فتوق))، وهي على اتساعها لا يرى لها أعمدة، وليس لها تصدع مذ خلقها الله تعالى(٤).

٣ ـ التفكر في مصير الأمم السابقة :

إن مصير الأمم السابقة ليس غريباً على المشركين، أو على أهل الكتاب، فأمرهم

---

(١) ينظر : جامع البيان : ١١ / ٤١٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٩٨.

(٣) سورة ق : الآية ٦ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ١١/ ٤٠٩ ؛ تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٨٢ ؛ التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٨٦.

معروف بينهم، وأن مصيرهم غير خافٍ عليهم، وأن ما حلَّ بهم إنما كان بسبب كفرهم وإنكارهم نبوات المرسلين ـ عليهم السلام ـ.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ (١٣) وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾(١).

فقوم نوح ـ عليه السلام ـ أول من كذب بالرسل، وما أصاب الرس وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع، فهم من العرب(٢)، ومن هؤلاء من يرون أثارهم عياناً في الحجر، وكالقرية التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل، وهم قوم لوط ـ عليه السلام ـ يمرون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أول تلك الأمم ليسوا شراً منهم(٣).

٤ ـ الصبر على دعوة المشركين:

الإنسان أسير عاداته وقناعاته، ومن العسير أن يغير الإنسان ما عليه من فكر أو سلوك بين ليلة وضحاها، لذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بالصبر على المشركين في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾(٤).

---

(١) سورة ق: الآيات ١٢ ـ ١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٢٩٥.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ٥٣١.

(٤) سورة ق: الآية ٣٦.

٥ ـ أهمية العقل :

لقد تحجج المشركون بالعقل في إنكار البعث، بدعوى أن البعث مخالف للعقل، والقرآن الكريم لم يلزمهم الإيمان بالبعث استناداً إلى أقوال الرسل ـ عليهم السلام ـ فحسب، بل قارعهم بأسلوبهم نفسه، فدعاهم إلى تحكيم العقل، وهذا يؤكد أن الإسلام هو دين العقل، فهو يلفت أنظار الكفار للنظر في الآفاق، فإذا لم يتعظوا بالكتاب المقروء المجيد، فليتعظوا بالكتاب المنظور وهو الكون .

وقد أمر الله تعالى الناس بالقياس العقلي السليم رداً على قياسهم الفاسد، واحتج على منكري البعث بالنشأة الأولى⁽¹⁾، كما في قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾⁽²⁾

فالرد هنا على منكرين البعث بطريقة لفت أنظارهم إلى حقيقة خلقهم، وإلى عظيم قدرة الله عز وجل، وينبههم إلى أن من قدر على إنشاءهم أول مرّة قادر على أن يعيدهم مرة ثانية، وليست الثانية بأهون من الأولى، بل كلتاهما تستويان عند الله ؛ لأن أمره ما بين الكاف والنون.

٦ ـ التهديد بالعذاب :

لم يلجأ القرآن الكريم إلى التهديد بالعذاب في معرض مجادلة منكري البعث إلا لبيان قدرة الخالق الذي يزعمون الإيمان به على أن ينزل عليهم عذاباً، كما في قوله تعالى :

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م: ١٥/ ٤٠.

(٢) سورة يس : الآيات ٧٨ ـ ٨٠.

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾(١).

٧ ـ القسم بوقوع البعث :

إن الشريف لا يكذب، وإن أقسم الشريف على أمر، فهذا دلالة على عظم هذا الأمر، وخطورته وأهميته، ولاسيما إن لم يكن الشريف مضطراً إلى القسم، فإن كان هذا حال الشرفاء من البشر، فما بالك برب العالمين إذ أقسم بوقوع البعث؟

فقد أخبر سبحانه وتعالى بوقوع البعث حتماً، وقد تنوع إخبار الله تعالى بوقوعه، فتارة يقسم بنفسه على وقوع ذلك، وتارة يقسم على وقوعه بما شاء من مخلوقاته، وتارة يأمر رسله بأن يقسموا بالله على وقوعه، وتارة يخبر عنه المنكرين أنفسهم أنهم يقسمون على وقوعه عندما يقفون بين يدي الله تعالى، وأحيانا يرد القرآن على المنكرين عن طريق ذم المكذبين بالمعاد ومدح المؤمنين به، وهو من باب الترغيب والترهيب(٢).

٨ ـ الإحياء الفعلي في الحياة الدنيا :

وقد ورد هذا في بضعة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) سورة سبأ : الآية ٩ .

(٢) ينظر : ردود القرآن على ذوي الجحود والإنكار، أحمد بن محمد شرشال، مجلة كلية الشريعة ـ جامعة الكويت، العدد ٤٤، سنة ٢٠٠١م : ٧٣ .

شَىۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ ﴾(١).

٩ ـ إحياء الموات :

في إحياء الموات رد على الدهريين الذين ينكرون الخالق سبحانه وتعالى، ويزعمون أن الطبيعة هي التي أوجدتهم، فالجواب عن مقالتهم : ما الذي يمنع الطبيعة من إعادة تشكيل خلقهم مجدداً كما أحدثهم أول مرة ؟ فإن كان الماء يحيي البذرة لتنبت، فلا مانع من أن يحي غيرها من الموات وما كان حياً من قبل أولى بالإحياء من غيره .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾(٢).

فمن قدر على إخراج كائن حي من جماد ميت، لابد أن يكون قادراً على إعادة الأجساد كما بدأها، وكذلك من أخرج من الشجر الأخضر ناراً قادر على أن يحيى الموتى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ ﴾(٣).

فههنا قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، وإخراج الشيء من ضده، وأن هذا ليس بالمر المستحيل أو المتعذر(٤).

ويستدل الإمام أو منصور الماتريدي بقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٥ .

(٣) سورة يس : الآيات ٧٨ ـ ٨٠.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الشافعي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ: ٢/ ٢٦؛ منهج الجدل والمناظرة : ١/ ٤٦٦ .

أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ (١).

فناقش الدهرية في مسألة البعث بعد الموت وردّ عليهم فقال: « أي خلق آدم أبا البشر من طين، فأما خلق بني آدم من ماء كقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ (٢) أخبر الله تعالى أنه خلق آدم من الطين، وخلق بني آدم سوى عيسى ـ عليه السلام ـ من النطفة، وخلق عيسى لا من الطين ولا من الماء، ليعلموا أنه قادر على إنشاء الخلق لا من شيء، وأنه لا اختصاص للخلق بشيء، ولا ينكرون أيضاً إنشاء الخلق وإحياءهم وموتهم، وذلك لأنه لا يخلو، إما أن صاروا تراباً أو ماءً، أو لا ذا ولا ذا، فإذا رأوا أنه خلق آدم من الطين، وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى ـ عليه السلام ـ لا من هذين، كيف أنكروا إنشاء الخلق بعد الموت، وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا، فيكون دليلاً على منكري البعث بعد الموت، على الدهرية في إنشاء الخلق لا من شيء، فإنهم ينكرون ذلك، ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم والله الهادي» (٣).

١٠ ـ التحدي والإعجاز:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (٤٩) ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا (٥٠) أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا (٥١) يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا (٥٣) رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢.

(٢) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٣) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٤/ ٦، ١٢ ـ ١٣.

يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾(١).

فدعاهم إلى أن يكونوا حجارة، وهي أبعد شيء من الحياة، ثم دعاهم إلى أن يكونوا إلى ما هو أبعد وهو الحديد، ثم دعاهم إلى أن يكونوا أي شيء يعتقدون أنه أبعد شيء عن الحجارة والحديد تستعظمه قلوبهم، ويعظم في زعمكم على الله إحياؤه مما هو أشد امتناعاً وصلابة ؛فإن الله تعالى سيعيدكم ويحييكم ويبعثكم كما فطركم أول مرة، فإن الرفات والعظام مساوٍ للحجارة والحديد، وغيرها بالنسبة إلى قدرة الله تعالى، فهو الذي خلق العظام، والحجارة، والحديد وكل شيء أول مرة فهو قادر على إعادتها بعد ذلك(٢).

١١ ـ حالهم في الآخرة :

رسمت بعض الآيات القرآنية صوراً تفصيلية ودقيقة لحال منكري البعث يوم القيامة، وهذه الصور إن لم تكن وازعاً للإيمان، فهي على أقل تقدير تقض مضجع الكافر وتصيبه بالحيرة والضيق . ومن هذه الصور قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٣).

فالآية تصور حالهم يوم الحساب، حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله عزّ وجلّ حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم من الحياء والخجل(٤).

ومما ورد من تصوير الانفعالات النفسية على طريقة الوصف المباشر قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ٤٩ ـ ٥٤ .

(٢) ينظر : ردود القرآن : ٧٧.

(٣) سورة السجدة : الآية ١٢ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٦٧ .

يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾(١).

فيصوّر النص الكريم الخوفَ العالق بالنفوس في مشهد رهيب من مشاهد القيامة، فيه تضيق النفوس وتخفق القلوب حتى كأنها ترتفع عن مواضعها من شدة الضيق فتلتصق بالحناجر، فلا تخرج ليستريحوا، ولا ترجع إلى أماكنها ليرتاحوا، فهي غُصّةٌ تثقل صدورهم، وتكرب أنفاسهم، وهم على تلك الحال لا يجدون قريباً يشفق عليهم أو يبثون إليه آلامهم، ولا شفيعاً ذا كلمة مسموعة يسعى إلى تفريج الكرب ودفع المكروه، ويزيد من وحشة الصورة قوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ)، ومثل هذا التعقيب يضفي على الصورة بُعداً نفسياً يتمثل في تقرير الانفراد والوحدة، ومن ثم فإن الصورة بشقيها تُعين على استحضار هؤلاء الظالمين وهم بين كرب شديدٍ وانفراد موحش.

١٢ ـ الاغترار بالحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢).

هذه الآية أتت في سياق الرد على منكري البعث، و«لما ذكر تعالى دلائل وحدانيته ـ سبحانه ـ في الآيات المتقدمة، أمر في هذه الآية بتقواه على سبيل الموعظة، والتذكير بيوم القيامة. وخشية اليوم: أي الخوف من أهوال ما يقع فيه، والأمر بخشيته تتضمن وقوعه، فهو كناية عن إثبات البعث» (٣).

---

(١) سورة غافر: الآية ١٨.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٣.

(٣) مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن

والمراد بالوعد الحق، أي : إن وعد الله بذلك اليوم حق ثابت متحقق، والجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، كأنه لما قيل: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوا يَوْماً .. سأل سائل أَنَّى يكون ذلك اليوم؟ فجاء الجواب بقوله: (إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ)، أي نعم يكون لا محالة لمكان الوعد به⁽¹⁾.

فالجملة جواب لسؤال مقدر؛ ولذلك فصلت عن الجملة السابقة لها لشبه كمال الاتصال. وأكد الخبر بـ (إِنَّ)؛ مراعاة لمنكري البعث. وفرع على هذا التأكيد إبطال شبهة منكري البعث بقوله: (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)، أي : لا تغرنكم الحياة الدنيا بأن تتوهموا الباطل حقًّا، والضُرَ نفعاً. وإسناد التغرير إلى الحياة الدنيا مجاز عقلي؛ لأن الدنيا ليست هي الفاعل الحقيقي للتغرير، وإنما هي ظرف الغرور، أو شبهته، وفاعل التغرير حقيقة هم الذين يضلونهم بالأقيسة الباطلة، فَيُشَبِهُون عليهم إبطاء الشيء باستحالته، فذكرت هنا وسيلة التغرير وشبهته، ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغرير، وهو الغرور في قوله تعالى: ﴿الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾. و (الغَرُورُ) بفتح الغين: اسم لمن يكثر منه التغرير ويسبب الانخداع، والمراد به الشيطان بوسوسته في نفوس دعاة الضلالة من التمويه للباطل، وما يلقيه في نفوس أتباعهم من قبول تغريرهم⁽²⁾.

عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ : ٢٥/ ١٤٣ .

(١) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ١١/ ١٤٥ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢١/ ١٩٥.

المبحث الثالث
خصائص الخطاب القرآني

اعتمد القرآن الكريم أسلوب الجدال مع منكري البعث وإلزامهم الحجة، وقد اتصف أسلوبه هذا بجملة خصائص، منها :

١ ـ الإفراد :

استعمل القرآن الكريم الإفراد بدل الجمع للتقليل من شأن الجميع وتحقير أمره، فمن ذلك إفراد الطفل في مقام قوله تعالى فيما أمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرد على منكري البعث :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١) .

فقد ورد لفظ (الطفل) مفرداً للتقليل من شأن المخاطبين وتحقيرهم بعد أن استعظموا إعادتهم أحياء بعد موتهم.

قال ابن جني: « وحسن لفظ الواحد هنا ؛ لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره، فلاق به ذكر الواحد، لقلته عن الجماعة، ولأن معناه أيضاً: نخرج كل واحد منكم طفلاً ... وهو مما إذا سئل الناس عنه قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة اتساعاً في اللغة، وأنسوا حفظ المعنى، ومقابلة اللفظ به لتقوى دلالته عليه وتنضم بالشبه إليه»(٢).

---

(١) سورة غافر : الآية ٦٧ .

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ)،

٢ ـ التقديم والتأخير :

عند رده على منكري الساعة قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾⁽¹⁾ في حين قال تعالى : في موضع اخر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾⁽²⁾ فالتقديم والتأخير في النظم كان للتناسب، إذ لما كان السياق الثاني حديثاً عن إنكار الشرك والدعوة إلى التوحيد الخالص ونفي الصاحبة والولد قدم كلمة التوحيد، ثم ذكر أنه ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، ولما كان السياق الأول هو الحديث عن الخلق وتعداد النعم، خرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي الشريك، فتقدم قوله ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، ثم قال ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، فقدَّم في كل سورة ما يقتضيه التناسب السياقي ((٣))، فضلاً عن أن المقصود هنا في سورة غافر الرد على منكري البعث، فناسب تقديم ما يدل عليه، وهو أنه سبحانه مبديء كل شيء فكذا إعادته⁽٤⁾، ثم شبه انصرافهم عن الإيمان مع وضوح الدلائل بانصراف غيرهم ممن كانوا يجحدون بآيات الله على الرغم من قيام الدليل، وهذه هي سنة الله في عباده في كل زمان ومكان .

٣ ـ التوكيد :

تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م: ٢/ ٢٦٩ .

(١) سورة غافر : الآية ٦٢ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٢

(٣) ينظر : أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٥هـ) تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر- تونس، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م : ٧٣ ؛ التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩م : ٦٣ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ٢٤/ ٨٣ .

استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد لبيان جرم منكري البعث، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (١).

إذ أكد صفة الإجرام فيهم بقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)، وقد أوحى الإخبار بـ(كانوا) عن هذه الصفة بوجودها، وأنها لم تفارق ذاتهم، فهي فيهم غريزة وطبيعة مركبة في نفوسهم (٢).

ويذكر السياق شيئاً من دلائل القدرة وتأكيد حقيقة غاية الخلق، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ (٣) لينفي ما بداخلهم من أسباب ودوافع دفعتهم إلى قولهم ذلك، فهذا الخلق العظيم لم يكن للهو واللعب، وإنما لحكمة أرادها الخالق عز وجل، وتدبر ما في هذا الكون الفسيح يوقع في النفس هذه الحكمة أو الغاية، فلا عبث فيه، ويوصل النفس إلى أن أمر الآخرة والجزاء حتم لابد منه لكي تتحقق النهاية الطبيعية للصلاح والفساد في الحياة الدنيا، وهذه هي مناسبة ذكر هذه الآيات بعد إنكار المشركين للبعث والحساب . ثم يؤكد هذه الحقيقة في الآية الأخرى ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٤) على سبيل قصر خلقهما على الحق لتأكيد نفي العبث واللعب في خلقهما وما بينهما، ثم يأتي التذييل الذي يبدأ بالاستدراك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) تجهيلاً لمنكري البعث والجزاء وتوبيخاً لهم على جهلهم وعدم إدراكهم لآيات الله في الكون . وتأكيداً لذلك المعنى واستكمالاً للقاعدة

---

(١) سورة الدخان : الآيات ٣٤ ـ ٣٧ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٣) سورة الدخان : الآية ٣٨.

(٤) سورة الدخان : الآية ٣٩.

في هذه الآية، فقد نفى الظلم عن نفسه جل جلاله قليله وكثيره، فإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها⁽١⁾.

٤ ـ تكامل الإيمان :

إي تكامل الإيمان بين المسائل الدنيوية وبين المسائل الأخروية، فتأكيد وقوع الساعة ونفي الريب عنها أمر أخروي، ونفي إيمان كثير من الناس بوقوعها أمر دنيوي، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾⁽٢⁾.

بدأت الآية بالتوكيد بـ(إن) ؛ لأن المقام يقتضي التوكيد، ولاسيما أن المخاطبين منكرون، فضلا عن التوكيد بـ(اللام) في قوله (لأتية)، كما أكدها باسمية الجملة في أصلها، وكل ذلك لشدة إنكار المنكرين، وعقب على مضمونها بجملة نفي جنس الارتياب أياً كان بقوله (لا ريب فيها) أي في ذاتها ونفسها⁽٣⁾.

ويثير نفي الريب عن وقوعها سؤال سائل : كيف ينفي الريب عنها والريب حاصل لكثير من الناس؟

فيأتي الاستدراك جواباً عن ذلك على سبيل الوصل استئنافاً بيانياً لوقوع (لكن) بعد واو العطف في الغالب⁽٤⁾.

وهذا يجسد العنت الشديد الذي واجهه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المشركين وإصرارهم على الكفر والضلال، ومن أشد ذلك إنكارهم للبعث والحساب

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القران : ١٥/ ٣٧٠ .

(٢) سورة غافر : الآية ٥٩ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ(تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م : ١٣/ ٥٨ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٤/ ١٨٠ .

وقيام الساعة، لذلك أكد القران الكريم وقوع الساعة والحساب إبطالاً لإنكار هؤلاء المنكرين .

٥ ـ توظيف الطباق :

جاء توظيف الطباق في عدد من الآيات التي ترد على منكري البعث، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

فالطباق بين (لا تَأْتِينَا) و(لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، والآية المباركة إثبات لقدرة الخالق عز وجل تلك القدرة في التصرف بالمخلوقات الصغيرة منها والكبيرة في السموات وفي الأرض ذلك التصرف العجيب الذي جاء رداً على منكري البعث والنشور وهو رد عليهم بتأكيد إتيانها(٢).

لقد انمازت الآية المباركة بإظهار علم الله تعالى وإحاطته بالأمور التي نيطت بها مصالح الناس الدينية والدنيوية فهو علام الغيوب(٣) يظهر ذلك بجلاء عن طريق تكرار النفي وتعدده الذي «أفاد تأكيد»(٤) حقيقتين هي : أولاً مجيء الساعة، وثانياً إحاطة علمه عز وجل بكل مخلوقاته، ولقد تداخل النفي المتعدد مع طباق السلب لتأكيد الحقيقتين

---

(١) سورة سبأ : الآية ٣.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الطبرسي)، لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري، (ت٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م: ٨/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: النظم الفني في القرآن، لعبد المتعال الصعيدي، القاهرة، بلا تاريخ : ٢٥١.

(٤) أساليب النفي في العربية ـ دراسة وصفية تاريخية، مصطفى أحمد النحاس، كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م : ١٩٧.

فافتتحت الآية المباركة بأسلوب المحاورة ما بين الكفرة والرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -(١)، أولئك الذين أنكروا إتيان الساعة بقولهم (لا تأتينا) الذي يشكل الطرف الأول لطباق السلب الأول، ويأتي الطرف الثاني له في رد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المشركين ذلك الرد الحاسم الجازم الذي أكد بعدة مؤكدات أولها في قوله تعالى : (قُلْ بَلَى) ذلك «الحرف المختص بأبطال النفي»(٢) بإثبات إتيان الساعة، وثاني تلك المؤكدات وثالثها ورابعها في قوله تعالى: {وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} الذي «أكد بالقسم وباللام الواقعة في جوابه»(٣) وبنون التوكيد الثقيلة.

ويتداخل طباق الإيجاب مع طباق السلب لتأكيد الحقيقة الثانية وهي أنه سبحانه (عالم الغيب) العالم بما يخفى عن الأبصار ويغيب عن الأنظار إذ لا يعزب عنه «ولا يغيب ولا يبعد عنه»(٤)، ولا يفوته العلم بأدق الأوزان والمقادير وأصغرها مما خلقه في طرفي الطباق الكونيين (السموات والأرض) ففيهما تتجلى دلائل القدرة لأنهما أظهر تلك المخلوقات وأجلاها أمام الأبصار، كما أن مجيء هذين الطرفين الاسميين يؤكد ثبوت تلك الحقيقة الربانية.

ويتوالى الطباق ويتتابع في إثبات تلك المعاني الجليلة فيتآلف طباق الإيجاب مع طباق

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن : ٢٢/ ٦٠.

(٢) حروف المعاني، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د . علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٤م : ١٠٥.

(٣) أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي، الدكتور خليل أحمد عمايرة، عمان، بلا تاريخ : ٤٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م : ٣٤٥.

السلب بطرفيه الاسميين المنفيين اللذين قد وظفا لإثبات علم الله وإحاطته بكل ما خلق في ذلك الكون الفسيح في قوله تعالى: ﴿ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ ﴾ ذلك أنه لا يغيب عن علمه لا أصغر من الذرة وهي أدق الأوزان ولا أكبر منها والاسمية في طرفي الطباق المنفيين تأتي كبرهان قاطع لإثبات تلك الحقيقة (العلم الإلهي).

إن تداخل الطباق الوارد في الآية المباركة وتكراره يومئ إلى ذلك الشمول وتلك الإحاطة بالعلم الإلهي ثم تؤكد تلك الحقيقة بما ختمت به الآية المباركة ﴿إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ «أي إلا ويعلمه وهو في اللوح المحفوظ»⁽¹⁾، فجاء الاستثناء ليؤكد نفي العزوب⁽²⁾.

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ٧/ ١٢١.

(2) ينظر: دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، بلا تاريخ: ٩٩.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

بعد هذه الجولة في رحاب هذا الموضوع، ألخص أهم النتائج بما يأتي :

١ . ركز القرآن الكريم على الرد على منكري البعث والحشر والنشور والإحياء، إنما لخطورة الشبهات التي ساقوها، فهي على الرغم من افتقارها إلى أسس علمية تقوم عليها، إلا أنها قامت على النفي والإنكار المجردين ومخاطبة العقل الساذج بتصوير استحالة البعث قياساً على المشاهدات اليومية المألوفة .

٢ . إن علة كثير من الانحرافات هو تفضيل العقل على الوحي الرباني.

٣. منكرو البعث ثلاثة أصناف، هم : الدهرية الذين ينكرون الخالق والبعث والإعادة، والصنف الثاني : منكرو البعث والإعادة، والصنف الثالث : المقرون بالمعاد ؛ ولكن على غير الصفة التي جاء بها القرآن .

٤ . إن شبهات المنكرين لا تخرج عن الأطر الآتية : الإنكار قياساً على الرؤية العيانية، إن الأجساد إذا فنيت، والعظام إذا بليت لا يمكن بعثها .

٥ . اتصفت شبهات المنكرين بجملة من الخصائص، منها : العجلة في إصدار الأحكام من دون تثبت أو تمحيص و مخالفة الحقائق البدهية، والتخبط في الرد، وصدور أحكامهم عن الظن المجرد، واللجاج في السؤال عن الساعة، و افتعال الخصومة .

٦ . استخدم القرآن الكريم في ردوده على منكرين البعث ردوداً مختلفة ومتنوعة، وبأساليب فنية، فتارة يذكر منكرين البعث بما حل بالمكذبين أمثالهم من الأمم قبلهم بسرد قصصهم، أو إرشاد المكذبين للسير في الأرض ليروا كيف دمر الله على أسلافهم،

وتارة يستخدم الترغيب والترهيب بعرض صور المؤمنين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم في جنة الخلد، وعرض صور المكذبين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من عذاب أليم في الدنيا والآخرة بإلقائهم في جهنم خالدين فيها بما كذبوا بلقاء الله سبحانه، وتارة يقررهم على أنفسهم، وتارة يعرض بعقولهم، وأنهم قد عطلوها فهم لا يؤمنون، وتارة يستخدم القسم .

٧. أبرز خصائص الخطاب القرآني في الرد على المنكرين : استعمال أسلوب الإفراد للتقليل من شأن المنكرين، والتقديم والتأخير في النظم، والتوكيد لبيان جرم منكري البعث، وتكامل الإيمان بين المسائل الدنيوية وبين المسائل الأخروية، وتوظيف الطباق.

والله ولي التوفيق .

المصادر والمراجع

١ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .

٢ . أساليب النفي في العربية- دراسة وصفية تاريخية، مصطفى أحمد النحاس، كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٣ . أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٥هـ) تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر – تونس، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤ . أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي، الدكتور خليل أحمد عمايرة، عمان، بلا تاريخ .

٥ . البحر المحيط، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ .

٦ . البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله ابن بهادر الزركشي الشافعي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٧ . تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت٣٣٣هـ)، تحقيق : د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٨ . التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٩. التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩م .

١٠. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٤. حروف المعاني، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د . علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٤م .

١٥. دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، بلا تاريخ .

١٦. ردود القرآن على ذوي الجحود والإنكار، أحمد بن محمد شرشال، مجلة كلية الشريعة ـ جامعة الكويت، العدد ٤٤، سنة ٢٠٠١م.

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧ه)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الطبرسي)، لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري، (ت٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ(تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٣. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٢٥. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ .

٢٦. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن. دار أشبيليا للنشر، السعودية، ط١، ١٩٩٩م .

٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ .

٢٨. النظم الفني في القرآن، لعبد المتعال الصعيدي، القاهرة، بلا تاريخ .